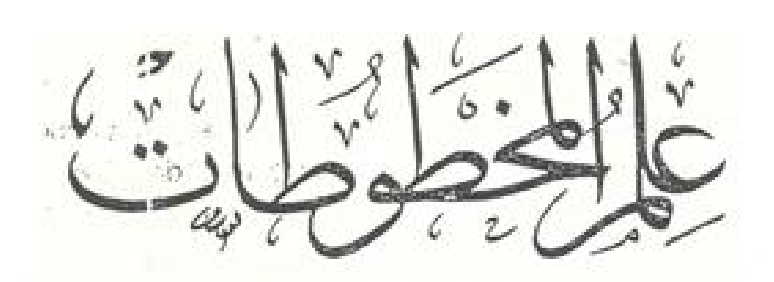


بقلم الدكتور

حسين علي محفوظ

استاذ الدراسات الشرقية ـ كلية الآداب
جامعة بغداد

يملؤنا بهجة ان تزدحم رفوف الخزانة العربية بفهارس المخطوطات وان يقبل على الفهرسة اولادنا من شباب الباحثين والمتتبعين . يشغلهم (المخطوط) عن لعب الحياة وهم في عنفوان السن ، ويجتنبهم الكلف به لهو اليفاع وهم في غضاضة الغصن . تلمس ايديهم الطرية ادراسه وتشم انوفهم الناعمة غباره.

ويهزنا ان يواصل معارفنا واقراننا من الشيوخ والكهول الحاف المكتبة العربية دائما بآرائهم النافعة، يستنفدون وسعهم في مجال التحقيق ، ويستفرغون طاقتهم في ميدان النشر ، لايفترون ولا يتوانون ولا يقصرون ويدهشنا ان تليهيم امثال هذه الابحاث الجافة الجافية عما في الدنيا من طيبات ومتاع وزهو .

تكشف فهارس هؤلاء واعمال هؤلاء دائما عن تراثنا الضخم وتعرفنا نتائج تحقيقهم بذخائرنا العظيمة القيمة . يسلك هذا جددا ، ويتخذ ذلك طريقة ، ويسير هذاك على درب . وما من احد ينكر ايادي اولئك جميعا على التراث ويقيدون اوابده ، ويجمعون ماتبدد منه ، ويدنونه من يد المتناول ويقربون اقصاه ، ويتحفون المعرفة بما يخرجونه من مباحث وفهارس وتعريفات ودراسات ومقالات .

ان علم المخطوطات الذي تكاد تجنح للغروب شمس القلة الباقية من اواخر اهله ـ يعانق هذا الكهولة ويدلف ذلك للشيخوخة انما هي تجارب تحتاج الى التقعيد ، وقواعد تحتاج الى المصطلحات واصطلاحات تحتاج الى التعريفات وضوابط تحتاج الى التقنين ، ومعارف تحتاج الى التدوين وخبرة تحتاج الى التلقين .

وربما سبب تجاهل القواعد الشطط في الحكم ، وقد تدعو قلة الدربة الى ركوب الاشتباه في التقدير . ولعل الحاجة الى المصطلحات تنتهي الى قصور الوصف وعدم الدقة في التعريف .

فما هي اصول معرفة المخطوط ؟
وما هي مبادىء وصفه ؟
وما هي قواعد التعريف به ؟
ثم ماهي حقائق التقدير ؟
وما هي دلائل الجزم ؟
وما هي امارات التخمين ؟

هذا وتواجهنا عشرات المصطلحات والالفاظ يعوز المتخصصين معرفة تفسيرها . وتواجهنا عشرات الحالات تحتاج الى مانستعين به من الالفاظ في التعبير والترعيف .

فما هو (التشعير) و (التحرير) (والترصيع) و (التقطيع) في صناعة التزيين ؟ .

وما هو (النخول) و (المنثور) و (عين النملة) و (جناح البعوضة) و (الغباري) في فن التذهيب؟

وما هو (المدهون) و (الضربي) و (المحرق) و (المعرق) في صنعة التجليد ؟

وما هو (السمرقندي) و (الاصفهاني) و (البغدادي) و (والخطائي) و (الهندي) و (الخانبالغ) من انواع الكاغد ؟

وما هو (الذبابي) و(الخلوقي) و(الاسمانجوني) و (الاصم) من الوان الصور ؟

وكيف يميز الاسلوب (التبريزي) و(الشيرازي) و (الخراساني) و (البغدادي) و (الاصفهاني) و (البخاري) من مدارس التصوير .

وما هو (المحيز) و (المعقد) و (المطرف) و (المضلع) و (المسيح) و (المبرج) من الاشكال ؟

وكيف يقدر (الوزيري) و (السلطاني) و (الخشبي) و (البياضي) و (الحمائلي) من قطوع الورق ؟

وكيف يقاس (نصف الدانقين) و (ثلاثة الدوانيق) و (خمسة الدوانيق) و (الخفي) و (الجلي) من الاقلام ؟

وكيف يحس (الكرسي) و (التركيب) و (النسبة) و (الدور) من اجزاء المتابة ؟

وكيف يدرك (التشمير) و (الصعود المجازي) و (النزول) من اجزاء الخط ؟

وكيف يفرق بين (النستعليق الفارسي) و (النستعليق التركي) و (النستعليق الهندي) من ضروب الخط الفارسي ؟

ان الاجابة عن هذه الاسئلة وامثالها تؤلف جزءا صغيرا من مادة باب واحد من ابواب علم المخطوطات الذي اقترح وضع اساسه ، وادعو الى تدوين المأثور من معارفه ، وتخريج المتخصصين به.

وهذا هو الذي دعاني الى تقديم هذا الاقتراح بين يدي الاخوان الافاضل ، وهذا الذي جرني الى السعي لتأليف كتاب يجمع قواعده ، ويحرر ضوابطه وحضني على لم كل ماعندنا من تجارب ونقول ، وضم كل ما حصلنا بالممارسة والمذاكرة ، ومحاولة الاحاطة بكل ؛ ما اكتسبته من مشاورة العارفين السابقين وحفظ كل ما التقطته من افواه المجربين المتقدمين .

ولقد جمعت ـ بعد ـ من الالفاظ والمواضعات كل ما اظن ان الضرورة تمس اليه في معرفة المخطوطات والتعريف بها ، ووضعت من المصطلحات كل ما احسب ان هذا العلم الجديد يحتاج اليه .

ويشرفني ـ اذ اليه الاخوان الكرام ـ ان اقدمه بين يدي العاملين في خدمة العربية والتراث محررا في الحلقة القادمة ان شاءالله ويبهجني ان اشارك في رفع قواعده وتأسيس بنيانه ..

يحتاج طالب التخصص بالمخطوطات الى العلم الواسع ، والاحاطة الكاملة بالتواريخ والتراجم ، والالمام باشياء من المعارف والفنون ، فضلا عن التعميق في معرفة الكاغد والحبر والخط والتزيين والتذهيب والجلود والاقلام والتصوير وامثال ذلك مما يتصل بالخط والمخطوط . وهو ـ الى الممارسة الدائمة والتمرين الكثير ، والتدريب في حضور الاستاذ ، وهداية المجرب ، ودلالة الخبير ـ احوج.

واكتفي ـ الان ـ بضرب امثلة التعريف بمصطلح علماء المخطوطات المتقدمين التي تحتاج الى الشرح ومزيد التفسير مما لا يظفر به في المدونات ولابد في معرفتها من الرؤية والتوضيح فقد اثرنا عنهم مثلا الشنجرف واللازورد والاسبيذاب والزنجار والزعفران ـ اذا دخلت مع التذهيب في صناعة النقش سمي ذلك (الترصيع) فاذا حددوا اطراف النقوش المذهبة والخطوط المكتوبة بماء الذهب بالحبر الاسود سموا ذلك (التحرير) وهم يسمون النقش المدور المذهب المرصع المريش في وجه الورقة الاولة (الشمسة) بينا اسم التدوير المزين في ظهرها ـ عندهم ـ هو (الترنج) .

ولابد في تفهيم القطوع القديمة ـ مثلا ـ من تحويلها الى المقياس المتري وهذا جدول القطوع الاثنى عشر المعروفة :

القطـــع	المقياس
المعضـدي	٢ × ٣ سم
الابطـي	٤ × ٦ سم
المصلائي	٧ × ١٢ سم
الحمائلـي	اعرض من المصلائي
نصف الربعي	١٠ × ١٨ سم
الوزيري الصغير	١٤ × ٢٢ سم
الوزيـري	١٦ × ٢٤ سم
الوزيري الكبير	٢٠ × ٣٠ سم
السلطاني	٣٠ × ٤٠ سم
الرحلي الصغير	٢٥ × ٤٠ سم
الرحلي	٣٠ × ٥٠ سم
الرحلي الكبير	٣٥ × ٦٠ سم

وعددهم أيضا :

الخشتي	١٧ × ٢١ سم
الخشتي القصيف	١٤ × ٢١ سم

هذه نبذة من التنبيهات والاشارات الى رموز هذا العلم . والله تعالى ـ اسال ان يوفقني لاكمال تدوين كتابي في علم المخطوطات الذي ارجو ان يحيط بمسائله ويجمع ما يقتضيه .